

## التوكل

## عناصر الخطبة

## مقدمة

بعض الآيات التي وردت في التوكل  
بعض الأحاديث التي وردت في التوكل  
معنى التَوَكَّل عند السلف  
آثار التوكل على الله سبحانه وتعالى

## التفصيل

## مقدمة

اعلم أن التوكل على الله سبحانه وتعالى عبادة، وقد أمر الله عز وجل نبيه بالتوكل والاعتماد عليه سبحانه في كل شئونه، وأمر النبي ﷺ أمته بذلك، ولا بد أن تعلم هذه الأمة أنه لا مخلص ولا مخرج لها من الفتن والمصائب إلا بالرجوع إلى الله والتوكل عليه، وذلك لا ينافي الأخذ بالأسباب المادية والشرعية، إذ لا بد من الأمرين معاً، فالتوكل من أجل صفات المؤمنين وأرفع درجات السالكين وأعلى مقامات الموحيدين. (١)

يقول ابن القيم: وسر التَوَكُّل وَحَقِيقَتُهُ هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ وَحَدَهُ فَلَا يَضُرُّهُ مُبَاشَرَةُ الْأَسْبَابِ مَعَ خَلْوِ الْقَلْبِ مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا كَمَا لَا يَنْفَعُهُ قَوْلُهُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ مَعَ اعْتِمَادِهِ عَلَى غَيْرِهِ وَرُكُونَهُ إِلَيْهِ وَثِقَتَهُ بِهِ فَتَوَكَّلِ اللِّسَانَ شَيْءً وَتَوَكَّلِ الْقَلْبَ شَيْءً كَمَا أَنَّ تَوْبَةَ اللِّسَانِ مَعَ إِصْرَارِ الْقَلْبِ شَيْءٌ وَتَوْبَةُ الْقَلْبِ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقِ اللِّسَانُ شَيْءً فَقَوْلُ الْعَبْدِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ مَعَ اعْتِمَادِ قَلْبِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَبَتُّ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مَصْرٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ مَرْتَكِبٌ لَهَا. (٢)

ويقول أيضاً اعلم أن التَوَكُّلَ نِصْفُ الدِّينِ. وَالنِّصْفُ الثَّانِي الْإِنَابَةُ، فَإِنَّ الدِّينَ اسْتِعَانَةٌ وَعِبَادَةٌ، فَالتَوَكُّلُ هُوَ الْإِسْتِعَانَةُ، وَالْإِنَابَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ.

(١) دروس للشيخ عمر الأشقر (٤٥ / ١)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٨٧).

ومنزلة التوكل من أوسع المنازل وأجمعها. وَلَا تَزَالُ مَعْمُورَةً بِالنَّارِ لَيْنَ، لِسَعَةِ مُتَعَلِّقِ التَّوَكُّلِ، وَكَثْرَةِ حَوَائِجِ الْعَالَمِينَ، وَعُمُومِ التَّوَكُّلِ، وَوُقُوعِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَفَّارِ، وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَالطَّيِّرِ وَالْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ. فَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - الْمُكَلَّفُونَ وَغَيْرُهُمْ - فِي مَقَامِ التَّوَكُّلِ، وَإِنْ تَبَايَنَ مُتَعَلِّقُ تَوَكُّلِهِمْ. فَأَوْلِيَاؤُهُ وَخَاصَّتُهُ يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ فِي الْإِيْمَانِ، وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَفِي مَحَابَّةِ وَتَنْفِيذِ أَوْامِرِهِ. (٣)

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. (٤)

بعض الآيات التي وردت في التوكل:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الهاجدة: ٢٣]، وَقَالَ: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٢٢]، وَقَالَ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]، وَقَالَ عَنْ أَوْلِيَائِهِ: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [المتحنة: ٤]، وَقَالَ لِرَسُولِهِ: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} [الملك: ٢٩]، وَقَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩]، وَقَالَ لَهُ: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ٨١]، وَقَالَ لَهُ: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ لَهُ: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ عَنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا} [إبراهيم: ١٢]، وَقَالَ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]، وَقَالَ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أَي لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ وَلَا يَقْصِدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَلُودُونَ إِلَّا بِجَنَابِهِ، وَلَا يَطْلُبُونَ الْحَوَائِجَ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يَرْغَبُونَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١١٣).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٣١).

الْمَلِكِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مُعَقَّبَ حُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، وَهَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ جَمَاعُ الْإِيمَانِ. (٥)

بعض الأحاديث التي وردت في التوكل:

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْفُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)). (٦)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، ((فَالهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ)) حِينَ قَالُوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]. (٧)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)). (٨)

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا". (٩)

(٥) مختصر تفسير ابن كثير (٢ / ٨٥).

(٦) صحيح البخاري (٨ / ١٠٠) صحيح مسلم (١ / ١٩٨).

(٧) صحيح البخاري (٦ / ٣٩).

(٨) صحيح البخاري (٩ / ١٤٤) صحيح مسلم (١ / ٥٣٣).

(٩) سنن الترمذي (٤ / ١٥١) مسند أحمد (١ / ٣٣٢). وهو في الصحيحة (١ / ٦٢٠).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حَيْثُئِذٍ: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيَتْ، فَسَنَّحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ". (١٠)

مَعْنَى التَّوَكَّلِ عِنْدَ السَّلَفِ:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: التَّوَكَّلُ عَمَلُ الْقَلْبِ. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ. لَيْسَ بِقَوْلِ اللِّسَانِ، وَلَا عَمَلِ الْجَوَارِحِ، وَلَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ بَابِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ فَيَقُولُ: هُوَ عِلْمُ الْقَلْبِ بِكِفَايَةِ الرَّبِّ لِلْعَبْدِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْسِّرُهُ، فَيَقُولُ: التَّوَكَّلُ هُوَ انْطِرَاحُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْ الرَّبِّ، كَانْطِرَاحِ الْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيْ الْغَاسِلِ بِقَلْبِهِ كَيْفَ يَشَاءُ. وَهُوَ تَرْكُ الْإِخْتِيَارِ، وَالِاسْتِزْسَالِ مَعَ مَجَارِي الْأَقْدَارِ.

وَقَالَ أَبُو تَرَابٍ النَّخَشَبِيُّ: هُوَ طَرْحُ الْبَدَنِ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى الْكِفَايَةِ.

فَإِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ. وَإِنْ مَنَعَ صَبَرَ.

فَجَعَلَهُ مُرَكَّبًا مِنْ خَمْسَةِ أُمُورٍ: الْقِيَامَ بِحَرَكَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِتَدْيِيرِ الرَّبِّ، وَسُكُونَهُ إِلَى قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَطَمَأْنِينَتَهُ وَكِفَايَتَهُ لَهُ، وَشُكْرَهُ إِذَا أُعْطِيَ، وَصَبْرَهُ إِذَا مَنَعَ.

وَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى أَنَّ التَّوَكَّلَ لَا يَنَافِي الْقِيَامَ بِالْأَسْبَابِ. فَلَا يَصِحُّ التَّوَكَّلُ إِلَّا مَعَ الْقِيَامِ بِهَا، وَإِلَّا فَهُوَ بَطَالَةٌ وَتَوَكُّلٌ فَاسِدٌ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: مَنْ طَعَنَ فِي الْحَرَكَةِ فَقَدْ طَعَنَ فِي السُّنَّةِ. وَمَنْ طَعَنَ فِي التَّوَكُّلِ فَقَدْ طَعَنَ فِي الْإِيمَانِ.

فَالتَّوَكُّلُ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْكَسْبُ سُنَّتُهُ. فَمَنْ عَمِلَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَتَرَكَّنْ سُنَّتَهُ.

وَقِيلَ: التَّوَكُّلُ أَنْ يَسْتَوِيَ عِنْدَكَ الْإِكْثَارُ وَالْإِقْلَالُ، وَهَذَا مِنْ مَوْجِبَاتِهِ وَأَثَارِهِ، لَا أَنَّهُ حَقِيقَتُهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: التَّوَكُّلُ هُوَ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ الرَّبِّ وَقَضَائِهِ.

(١٠) سنن أبي داود (٣٢٥ / ٤) سنن الترمذي (٣٦٥ / ٥) صحيح ابن حبان (١٠٤ / ٣) صحيح الجامع الصغير (١٤٨ / ١).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَائِيُّ: التَّوَكُّلُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: التَّوَكُّلُ، ثُمَّ التَّسْلِيمُ، ثُمَّ التَّفْوِيزُ. (١١)  
فَالتَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْمُطْلُوبُ، وَيَنْدَفِعُ بِهَا الْمَكْرُوهُ. فَمَنْ أَنْكَرَ الْأَسْبَابَ لَمْ يَسْتَقِمْ  
مِنْهُ التَّوَكُّلُ. وَلَكِنَّ مِنْ تَمَامِ التَّوَكُّلِ عَدَمَ الرُّكُونِ إِلَى الْأَسْبَابِ، وَقَطْعَ عِلَاقَةِ الْقَلْبِ بِهَا؛ فَيَكُونُ حَالُ قَلْبِهِ قِيَامَهُ  
بِاللَّهِ لَا بِهَا. وَحَالُ بَدَنِهِ قِيَامَهُ بِهَا.

فَالْأَسْبَابُ مَحَلُّ حِكْمَةِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَدِينِهِ. وَالتَّوَكُّلُ مُتَعَلِّقٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ. فَلَا تَقُومُ عِبُودِيَّةُ  
الْأَسْبَابِ إِلَّا عَلَى سَاقِ التَّوَكُّلِ. وَلَا يَقُومُ سَاقُ التَّوَكُّلِ إِلَّا عَلَى قَدَمِ الْعِبُودِيَّةِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ تَوَكُّلُ  
الْعَبْدِ حَتَّى يَصِحَّ لَهُ تَوْحِيدُهُ. بَلْ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ تَوْحِيدُ الْقَلْبِ. فَمَا دَامَتْ فِيهِ عِلَاقَةُ الشَّرِكِ، فَتَوَكُّلُهُ مَعْلُومٌ  
مَدْحُولٌ. وَعَلَى قَدْرِ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ تَكُونُ صِحَّةُ التَّوَكُّلِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مَتَى التَّفَتَّ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ أَخَذَ ذَلِكَ الْإِلْتِفَاتُ  
شُعْبَةً مِنْ شُعَبِ قَلْبِهِ. فَتَقْصُرُ مِنْ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ بِقَدْرِ ذَهَابِ تِلْكَ الشُّعْبَةِ وَمِنْ هَاهُنَا ظَنٌّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ التَّوَكُّلَ لَا  
يَصِحُّ إِلَّا بِرَفْضِ الْأَسْبَابِ. وَهَذَا حَقٌّ. لَكِنَّ رَفْضَهَا عَنِ الْقَلْبِ لَا عَنِ الْجَوَارِحِ. فَالتَّوَكُّلُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِرَفْضِ  
الْأَسْبَابِ عَنِ الْقَلْبِ، وَتَعَلُّقِ الْجَوَارِحِ بِهَا. فَيَكُونُ مُنْقَطِعًا مِنْهَا مُتَّصِلًا بِهَا، ثُمَّ عَلَى قَدْرِ حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ  
وَرَجَائِكَ لَهُ، يَكُونُ تَوَكُّلُكَ عَلَيْهِ. وَلِذَلِكَ فَسَرَ بَعْضُهُمُ التَّوَكُّلَ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ يَدْعُوهُ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ. إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ التَّوَكُّلَ عَلَى مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ، وَلَا  
التَّوَكُّلَ عَلَى مَنْ لَا تَرْجُوهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (١٢)

ولذلك يقول ابن القيم: وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ،  
وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ)). فَهَذَا تَوَكُّلٌ وَتَفْوِيزٌ. ثُمَّ قَالَ: ((فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ،  
وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)). فَهَذَا تَبَرُّؤٌ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَتَوَسُّلٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ

(١١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١١٦).

(١٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٢٠).

بِصَفَاتِهِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ مَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِهَا الْمُتَوَسِّلُونَ. ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَقْضِيَ لَهُ ذَلِكَ الْأَمْرَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَتُهُ، عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، وَأَنْ يَصْرِفَهُ عَنْهُ إِنْ كَانَ فِيهِ مَضَرَّةٌ، عَاجِلاً أَوْ آجِلاً. فَهَذَا هُوَ حَاجَتُهُ الَّتِي سَأَلَهَا. فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا الرِّضَا بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ. فَقَالَ: ((وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ)).

فَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الدُّعَاءُ عَلَى هَذِهِ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ، الَّتِي مِنْ جُمَلَتِهَا التَّوَكُّلُ وَالتَّفْوِيضُ، قَبْلَ وَقُوعِ الْمُقْدُورِ، وَالرِّضَا بَعْدَهُ. وَهُوَ ثَمَرَةُ التَّوَكُّلِ. وَالتَّفْوِيضُ عَلَامَةٌ صِحَّتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قُضِيَ لَهُ، فَتَّفْوِيضُهُ مَعْلُومٌ فَاسِدٌ. (١٣)

آثار التوكل على الله سبحانه وتعالى:

### ١- التوكل ينجي الإنسان مما يخافه من الفقر

قال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل، فتضيع أمر آخرتك، ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك.

### ٢- التوكل على الله سبب في عون الإنسان على فعل الأوامر واجتناب النواهي

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن النفس لا بُدَّ لها مِنْ جَلْبِ الْمُنْفَعَةِ، وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَوَكِّلَةً عَلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَاثِقَةً بِهِ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَنْصَرِفَ عَنْ ذَلِكَ فَتَمْتَلِ الْأَمْرَ مُطْلَقًا؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَعْصِيَ الْأَمْرَ فِي جَلْبِ الْمُنْفَعَةِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ فَلَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ، وَطَاعَةُ أَمْرِهِ بِدُونِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ كَمَا أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ لَا يَصِحُّ بِدُونِ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ.

قال تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣]، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥].

وَ (المَقْصُودُ) أَنَّ امْتِنَالَ الْأَمْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ لَا يَصِحُّ بِدُونِ التَّوَكُّلِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَمَنْ كَانَ وَاثِقًا بِاللَّهِ أَنْ يَجْلِبَ لَهُ مَا يَنْفَعُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ مَا يَضُرُّهُ أَمْكَنَ أَنْ يَدَعَ هَوَاهُ وَيُطِيعَ أَمْرَهُ وَإِلَّا فَنَفْسُهُ لَا تَدَعُهُ أَنْ يَتْرُكَ مَا يَقُولُ إِنَّهُ مُحْتَاجٌ فِيهِ إِلَى غَيْرِهِ. (١٤)

(١٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٢٢).

## ٣- التوكل على الله يزيل عن النفس الخوف والرعب

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فَالْقَلْبُ لَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَرْجُوهُ، فَمَنْ رَجَا قُوَّتَهُ أَوْ عَمَلَهُ أَوْ عِلْمَهُ أَوْ أَوْ صَدِيقَهُ أَوْ قَرَابَتَهُ أَوْ شَيْخَهُ أَوْ مَلِكَهُ أَوْ مَالَهُ غَيْرَ نَاطِرٍ إِلَى اللَّهِ كَانَ فِيهِ نَوْعٌ تَوَكَّلٍ عَلَى ذَلِكَ السَّبَبِ، وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا حَابَ ظَنُّهُ فِيهِ فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]. (١٥)

## ٤- التوكل على الله يكسب الإنسان الرضا بما قسم الله له

فإذا توكل الإنسان على الله في أموره كلها رضي بالله سبحانه وتعالى وبما قسم له لذلك فسر بعض العلماء التوكل بأنه الرضا، فقال: هُوَ الرِّضَا بِالْمُقَدُّورِ.

وَسُئِلَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: مَتَى يَكُونُ الرَّجُلُ مُتَوَكِّلًا؟ فَقَالَ: إِذَا رَضِيَ بِاللَّهِ وَكَيْلًا.

ولذلك فالرضا هو ثمره التوكل. وَمَنْ فَسَّرَ التَّوَكُّلَ بِهِ فَإِنَّمَا فَسَّرَهُ بِأَجَلِ ثَمَرَاتِهِ، وَأَعْظَمَ فَوَائِدِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَوَكَّلَ حَقَّ التَّوَكُّلِ رَضِيَ بِمَا يَفْعَلُهُ وَكَيْلُهُ.

وَكَانَ شَيْخَنَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: الْمُقَدُّورُ يَكْتَنِفُهُ أَمْرَانِ: التَّوَكُّلُ قَبْلَهُ، وَالرِّضَا بَعْدَهُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى

اللَّهِ قَبْلَ الْفِعْلِ. وَرَضِيَ بِالْمُقْضِيِّ لَهُ بَعْدَ الْفِعْلِ فَقَدْ قَامَ بِالْعِبُودِيَّةِ. أَوْ مَعْنَى هَذَا.

لذالك يَقُولُ بَشِيرُ الْحَافِي: يَقُولُ أَحَدُهُمْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ. يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ. لَوْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ لَرَضِيَ بِمَا

يَفْعَلُهُ اللَّهُ بِهِ. (١٦)

(١٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٩٢).

(١٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥ / ٢٣٢).

(١٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ١١٦).

ولذلك سئل حاتم الأصم فقيل له: يا حاتم! كيف حققت التوكل؟ فقال حاتم الأصم وهو من سادة المتوكلين من التابعين: حققت التوكل على الله بأربع خصال، قيل له: ما هي؟ قال: علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي، وعلمت بأن عملي لا يعمله غيري فانشغلت به، وعلمت بأن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية، وعلمت بأن الموت ينتظرنني فأعددت الزاد للقاء الله. (١٧)

ويقول سهل بن عبد الله التستري: العلم كله باب من التعبد، والتعبد كله باب من الورع، والورع كله باب من الزهد، والزهد كله باب من التوكل. (١٨)

### ٥- التوكل مانع من عذاب الله تعالى

قال سبحانه: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [المالك: ٢٨، ٢٩].

ونختم بهذا المثل التطبيقي لقصة رجلين ضربا أروع الأمثلة في التوكل على الله عن أبي هريرة رضي عنه، عن رسول الله ﷺ: " أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَرُكِّبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَتَقَرَّهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ رَجَعَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثَ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقِدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَجَدْتُ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يُخْرِجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِإِلَيْهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا

(١٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧٣/٨)، والبيهقي في الشعب (٩٨/٢) بتصرف يسير.

(١٨) موسوعة خطب المنبر (ص: ١٩٥٨).

المال، فأخذها لأهلِهِ حطبًا، فلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِإِلَيْكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الحَشَبَةِ، فَأَنْصِرْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا". (١٩)

وفي الحديث فوائد كثيرة منها:

١- جَوَازُ الأَجَلِ فِي القُرْضِ وَوُجُوبُ الوَفَاءِ بِهِ وَقِيلَ لَا يَجِبُ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ المَعْرُوفِ، قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [البقرة: ٢٨٢].

٢- فِيهِ التَّجَارَةُ فِي البَحْرِ وَجَوَازُ رُكُوبِهِ وَفِيهِ بُدَاءَةُ الكَاتِبِ بِنَفْسِهِ وَفِيهِ طَلَبُ الشُّهُودِ فِي الدِّينِ وَطَلَبُ الكَفِيلِ بِهِ. (٢٠)

٣- قَالَ المَهْلَبُ فِيهِ أَنْ مِنْ صَحِحِ مَنَهِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ مَلِيٌّ بِنَصْرِهِ وَعُونِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]، فالناقر توكل عليه ووثق به في تبليغها وحفظها، والذي سلف وطلب الكفيل صح منه التوكل على الله أيضًا؛ لأنه قنع به كفيلاً فوصل الله إليه. (٢١)

٤- مَشْرُوعِيَّةُ التَّقَاطِطِ مَا لَهُ قِيَمَةٌ قَلِيلَةٌ. مِثْلُ الحَشَبَةِ. وَالاِنْتِفَاعُ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَعْرِيفٍ لَهُ. (٢٢)

(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه في ستة مواضع معلقاً مجزوماً به مطولاً ومختصراً (٢/ ١٢٩)، (٣/ ٩٥)، (٣/ ١٤٤)، (٣/ ١٩٨)، (٤/ ١٢)، (٨/ ٥٩).

(٢٠) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٤٧٢).

(٢١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٤٢٣).

(٢٢) مستفاد من محاضرة للشيخ المنجد (ص: ٤).

٥- أن الله إذا استودع شيئاً حفظه. قال: (اللهم إني أستودعكها) قال تعالى: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٦٤] والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا ودع رجلاً يقول: (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك). (٢٣)

٦- العلم بتوحيد الله، فالرجلان يعلمان من توحيد الله تعالى ما جعلها يخلصان في أشرف علوم التوحيد ألا وهو معرفة الله تعالى في أسمائه وصفاته، فيقول له: كفى بالله شهيداً. . كفى بالله وكياًلاً.

٧- كان الذي قال كفى بالله شهيداً. . كفى بالله وكياًلاً. . رجلاً صالحاً، ومعنى أنه صالح: يعني أنه مخلص لله، ومتابع لسنة الأنبياء في طاعة الله تعالى. والمتابع الذي يعلم العلم النافع، والعلم النافع: قال الله. . وقال رسوله ﷺ. . وما كان على منهج السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة. ورضي الرجل الآخر بالأجر والثواب، فرضي بشهادة الله. . وكفالة الله.

٨- الخشية من الله تعالى، والمعرفة التامة بالله تعالى، حملتا هذا الرجل الصالح للتفكير بطريقة يوصل بها المال إلى صاحبه في الموعد المتفق عليه.

٩- تشبع الرجل الصالح بحق التوكل على الله، الذي يفتقده كثير من الناس اليوم، لضعف إيمانهم بالله، وجهلهم بأسمائه وصفاته.

والحمد لله رب العالمين

(٢٣) سنن أبي داود (٣/ ٣٤) وغيره، وقال الألباني: صحيح انظر السلسلة الصحيحة (١/ ٤٨).